



العدد السابع السنة الثامنة شباط ٢٠٢٤م

الهُـويـة

المفهوم - التاريخ - التمثلات

في هذا العدد

مجلة أنشئت عام ١٩٩٨م صادرة عن المجمع العلمي العراقي

أوراق مجمعية

المشرف العام
أ.د. محمد حسين آل ياسين
رئيس المجمع العلمي العراقي

رئيسة التحرير
د. نادية غضبان محمد

مديرة التحرير
غادة سامي عبدالوهاب

سكرتيرة التحرير
شيماء أمجد العاني

هيأة التحرير
أ.د. لطيفة عبدالرسول الضايف
أ.د. محمد حسين علي زعين
أ.م.د. ماجدة هاتو
لمياء عدنان المندلاوي

الإشراف الطباعي
وسام سعدي عبد المحسن

التنضيد والمتابعة الفنية
علي إبراهيم علي
حنين محمد شريف

شروط النشر

- لا تتجاوز المقالات والدراسات عشر صفحات حجم A4
- مراعاة سلامة اللغة العربية في كتابة المقالات والدراسات
- توثيق المقالة أو الدراسة توثيقاً علمياً
- يزود الباحث من خارج العراق بعدد رقمي من المجلة مع كتاب شكر من السيد رئيس المجمع العلمي العراقي
- ترسل المقالات على البريد الرقمي الخاص بالمجلة:

awraqmajma@iraqacademy.iq

awraqmajma@gmail.com

من أهداف المجمع العلمي

- إيجاد مرجعية علميّة في حقل الاختصاص
- المحافظة على سلامة اللغة العربيّة والكردية والتركمانية والسريانية وغيرها، والعمل على تنميتها ووفائها بمطالب العلوم والآداب والفنون
- وضع معجمات وموسوعات علميّة ولغوية
- تحقيق الكتب والوثائق العلميّة القديمة ونشرها
- إحياء الإرث العراقي والعربي والإسلامي في العلوم والآداب والفنون والعناية بدراسة تأريخ العراق وحضارته وتراثه
- التعاون مع الجامعات والمؤسسات العلميّة داخل العراق وخارجه وإقامة روابط علميّة معها



استفتاءات مجمعية

في مفهوم الهُوية

مسار الهُوية عبر التاريخ

قراءة في كتاب

ملف العدد...

سؤال الهُوية في الفكر الفلسفي والاجتماعي

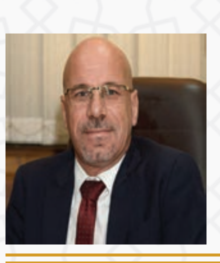
صراع الهويات

الهُوية و السَرد

دراسات جامعية

نشاطات مجمعيّة

الهُوية في أزمنة السيولة



أ.د. محمود الضبع
جامعة قناة السويس / مصر

السؤال المؤرَّق لمفكري العالم المعنيين الآن، هو: هل ما يزال في الإمكان الحفاظ على ملامح وأبعاد للهوية في ظل هيمنة «السيولة» التي تعمل على محو وتفكيك كل المرتكزات، وفي ظل سعي البشرية المحموم للتغيير والتحديث من دون تحديد خط للنهاية أو هدف محدد يحكم المسار؟

بدايةً يمكن رصد ملامح هذه السيولة وأبعادها في الواقع العالمي من حولنا، إذ يمكن بقليل من التأمل ملاحظة ظهور بدائل سائلة حلّت محل الثوابت التي ظلت البشرية تعيش في كنفها قرونا طويلة، ومنها: التكنولوجيا وتطبيقاتها، بديلا عن المجتمع الصلب الذي أسست له البشرية عبر مسيرتها، وهو ما يمكن رصده في بعض ممارسات الحياة مثل: التصوير، والبريد، والتواصل، والاتصالات، والطباعة والنشر، وغيرها مما انتقل من الحالة الملموسة ذات الوزن والكتلة إلى الحالة السائلة، وهذه أبسط المستويات إذ يمكننا النظر إلى أشكال الصلابة التي أسست لها البشرية عبر مسيرتها متمثلة في الأعراف والتقاليد والقيم والعادات والأخلاقيات الجمعية، وما تواجهه الآن من تسييل وإذابة ومحو.

ومن هذه البدائل السائلة أيضا، اعتماد الهُوية الذاتية بديلا عن هوية الجماعة، وسيادة الثقافة الاستهلاكية والثقافة القشرية بديلا عن ثقافة العلم والمعرفة، وهو ما عززه انتشار الإعلام البديل[١] ومواقع الشبكات الاجتماعية والاشتغال عن طريق الاتحاد بين تقانة الدماغ والذكاء الاصطناعي وعلم النفس، من أجل السيطرة على العقول البشرية وتوجيهها.

ومن البدائل السائلة كذلك تفكيك النظم الاجتماعية والسياسية، بديلا عن الالتفاف على فكرة أو توجه أو فلسفة أو تيار أو اتجاه، أو بمعنى آخر «فصل السلطة (القدرة على فعل الأشياء) عن السياسة (القدرة على تحديد الأشياء التي ينبغي فعلها)» [٢].

ويمكن التمثيل على هذا الأخير بفكرة «القومية العربية» التي كانت مسارا سياسيا وثقافيا للمجتمعات العربية في النصف الثاني من القرن العشرين – أو على أدنى تقدير لأصحاب الوعي فيه-، إذ تم تفكيك هذه القومية -في مرحلة أولية- لصالح قومية الدولة الواحدة، ثم في مرحلة ثانية لصالح عرقية الجماعات وانتماءاتهم القبيلة أو (Ideology)، ثم في مرحلة ثالثة لصالح الفردانية (وهو المسار

---

١ - للمزيد، يمكن العودة إلى:
- علي حجازي إبراهيم: التكامل بين الإعلام التقليدي والجديد، دار المعتز للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٧.
- ليا ليفرو: وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة، ترجمة هبة ربيع، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٦.

٢ - زيجمونت باومان: الحداثة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٦، ص٣٣.

الذي يتعمق يوما بعد يوم في غيبة من وعي المجتمعات العربية إجمالا، وفي غيبة من وجود مسارات منظمة لتدارك مخاطره).



كل ذلك وشبيهه من مستجدات هي التي غيّرت وجه العالم، وأعادت صياغة الحياة البشرية، وبالتالي أسهمت في تقسيم هذا العالم لقسمين: أحدهما يمتلك أدوات الإنتاج والقدرة على العولمة وتفكيك كل الهويات المغايرة له، وبالتالي التأثير في تحريك المشهد وتحقيق أهدافه السياسية والاقتصادية بنسب متفاوتة تحكمها (الرأسمالية) الجديدة، والقسم الثاني من العالم (المتعولم) يلهث في الحفاظ على هوية وجوده القديم بالمفاهيم التي توارثها والمعارف التي امتلكها، مع محاولة التعلم وامتلاك أدوات الإنتاج، ولكنه مشتت بين الحفاظ على ماضٍ بعض ثوابته المعرفية فقط صالحة للوضع الراهن، وبين محاولة اللهاث لمواكبة الحاضر والمستقبل.



ولعلّ أخطر ممارسات هذه السيولة على واقعنا الذي نعيشه، هو السعي نحو توجيه الشعوب لاعتماد الهُوية الذاتية بديلا عن هوية الجماعة، وإن كانت هذه الهُوية الذاتية مستمدة من الأشكال الاستهلاكية للحياة كما هي مطروحة عبر وسائل الإعلام، والإعلام البديل، والميديا، وتطبيقات التقانة، والإعلانات التي يتم بثها ليل نهار، وكل ذلك سهل الترويج لعمليات التطبيع الثقافي كما نلاحظها من حولنا الآن، وهو ما أدى في نهاية الأمر إلى ذوبان فكرة الطبقات الاجتماعية، وظهور تصنيفات طبقية أخرى تخضع لثقافة الاستهلاك.

وفي أوضاعنا العربية، وعلى الرغم من عدم العناية برصد وتحليل أبعاد هويتنا، وجعل الموضوع من أساسه لا يمثل أهمية أمام همومنا وشواغلنا الاقتصادية والتعليمية والأمنية واليومية، إلا أن ذلك لا يعفينا ولن يعفينا من مخاطر المستقبل التي سوف تنتج ليس عن ممارساتنا فقط، وإنما أيضا عن الممارسات الراهنة للسياسات العالمية الواعية، وأقلها تلك المخاطر المرتبطة بخلخلة الهويات وتقويض المرتكزات وفقد البوصلة والاتجاه، وغيرها ممّا تتوجه النظم الاقتصادية نحوه وبقوة [1].

هذه الممارسات العالمية ستصل في النهاية لسلسلة عمليات من الدمج بين الشعوب، التي ستجعل الشعب الذي لا يستطيع تعضيد وبناء ملامح هويته، يندرج تحت هوية أكبر تستطيع التهامه وابتلاعه بالمعنى الدقيق، والأمر هنا سيختلف نسبيا عن عمليات الاستعمار

---

١ - للمزيد فيما يخصُّ الهُوية وأبعادها ومخاطرها، يمكن العودة إلى كتابنا: الثقافة والهُوية والوعي العربي، بتانة للنشر، القاهرة، ٢٠١٦.

بمفهومها التقليدي في اشتغالها على تفكيك الهُوية، ذلك أنه مهما حاول الاستعمار فرض أشكال السيطرة وصبغ المجتمعات المستعمرة بصبغته، إلا أن المكون الثقافي الناتج حينها عن قوة وصلابة أُنموذج العادات والتقاليد والأعراف والتدين واللغة لهذه الشعوب التي تم استعمارها، استطاع لقوته الحفاظ على هويته بعيدا بشكل أو بآخر عن سيطرة المستعمر.

لكن الأمر هنا في زماننا سيختلف، لأنه في حالة الاستعمار، كان الاهتمام بالهُوية يبرز على السطح، ويشغل اهتمام الوعي الثقافي، والوعي العام، وليس أدلّ على ذلك من مراجعة قصص وحكايات الأسرة العربية مع المستعمر والمحتل، فيما يتعلق بممارسة العادات والتقاليد والطقوس الدينية في الخفاء حال منعها من قبل الاحتلال أو الاستعمار، ويمكن على سبيل المثال تأمل الممارسات الاجتماعية للشعب الفلسطيني رغم طول الاحتلال، وحفاظهم على ملامح هويتهم وتوريثها للأجيال المتعاقبة، والممارسات الاجتماعية والثقافية للمجتمع المصري ومواجهته أنواع الاستعمار المختلفة (الفرنسي والإنجليزي)، وهو ما سنجد نماذجه الكثيرة في البلدان العربية التي تعرضت لذلك عبر التاريخ.

أما في الحالة الراهنة، فقد غدت الهُوية على المحك، لأن الفلسفات التي تحكم العالم ذاتها، تعيد صياغة مفهوم الهُوية لتنقلها من حالة الصلابة الملموسة (العادات والتقاليد والقيم والأعراف والأزياء واللغة والدين) إلى حالة السيولة، التي تعمل على إذابة الكيانات الثابتة المستقرة، تلك التي تستمد بقاءها واستمراريتها من داخلها (البنى الاجتماعية، والروابط الإنسانية، والنماذج السلوكية، والنماذج القيمية)، وكل البنى المتوارثة مما رصده المنظرون والمفكرون عالميا، ومنهم «زيجمونت باومان» في سلسلة كتبه عن السيولة.

الهُوية في ظل ذلك تعاد صياغتها لصالح القوى الاقتصادية الكبرى في العالم، التي استطاعت بدورها الهيمنة على السياسة بفعل امتلاكها للأدوات الفاعلة، بدءا من التقانة، والبرمجيات، والإعلام البديل المتمثل في السوشيال ميديا والشبكات الاجتماعية على الويب وإنتاج الميديا ذاتها، وهي أدوات لا يمكن الاستهانة بها؛ لأنها فاقت في تأثيرها قدرة وقوة الأدوات العسكرية والإعلامية بمفاهيمها التقليدية، وهي التي تستطيع اليوم تحريك الشعوب والتأثير عليها عن بعد، ولاسيما بعد الاندماج الحادث بين الذكاء الاصطناعي وعلوم النفس و (توجيه عقول البشر والشعوب عن بعد).

فهل ما يزال في الإمكان إعادة طرح قضية الهُوية في وعينا العربي، وبحث أبعادها وإمكانات بنائها لصالح مواجهة حالة السيولة العالمية ومخاطرها؟

الواقع أننا على الرغم من كل التحديات التي تواجهنا في ظل غياب الرؤى الواعية بمخاطر تحولات المعرفة وإنتاجها عالميا، وانتقالها من

الاعتماد على المعارف التي ينتجها الإنسان، إلى المعارف التي لا يتدخل الإنسان في إنتاجها من الأساس، مثل أجهزة الاستشعار عن بعد، وتطبيقات معالجة البيانات الضخمة وغيرها مما أنتجته المجتمعات السائلة.

وعلى الرغم من إغفال معالجة قضايا الهُوية وتنويعاتها المتعددة في واقع حياتنا العربية، إلا أنه ما يزال في الإمكان تدارك كل ذلك، عن طريق ترتيب الملفات وإعادة ما تم تهميشه إلى موقعه ومكانته، وهو كثير، إذ إن العقلية العربية خلال القرون الأخيرة سقطت في خدائع كثيرة، من دون أن تنتبه لما يحدث من خلخلة في بنية العقل العربي إجمالا.

وأول هذه الملفات التي تتطلب إعادة ترتيب مكانتها، وتصحيح أوضاع معالجتها، هو ملف «اللغة»؛ لأنها المكون الأساس لأي هوية الآن، ليس في وظيفتها التواصلية فحسب، وإنما فيما يتعلق بإنتاجها المعرفي، وقدرة هذا الإنتاج على الانتشار والتداول عبر الفضاء الرقمي، والمحتوى المعرفي بالصيغ المتعارف عليها عالميا في الأوساط المعنية الآن.

سيتطلب ذلك بالضرورة الانتقال من طرق معالجة اللغة في صيغها الإفرادية كما تتداوله الجهود المعجمية التي غدت تنفصل شيئا فشيئا عن واقع المجتمعات العربية وتداوليتها، وتنفصل عن لغة الإنتاج العالمي التي تقتضي التطوير في آليات إنتاج المعرفة، وطبيعة اللغة.

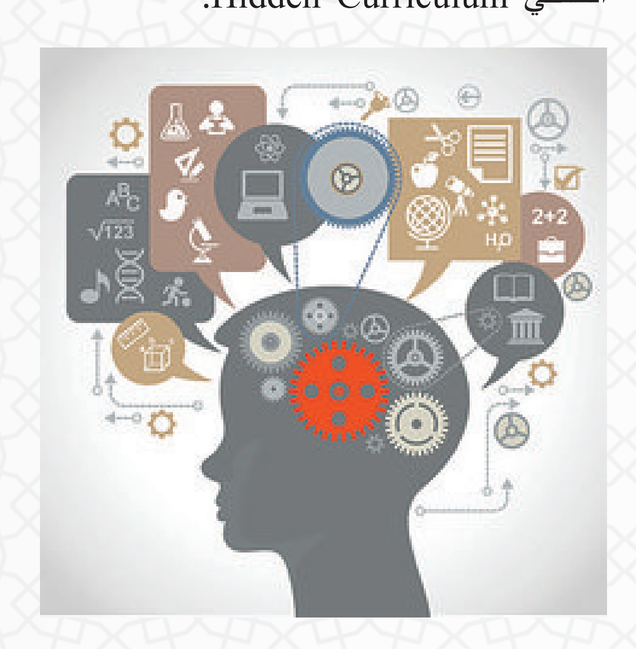
سيتطلب كل ذلك إعادة صياغة مفهوم اللغة ذاته، والانتقال بها إلى عمليات إكسابها وظائف وصياغات جديدة، مثل التكويد (الترميز Encoding) وفك التكويد (تغيير المعلومات من شكل إلى آخر Decoding)، والمعالجة الآلية عن طريق تطبيقات الحاسوب، وهو ما نتج عنه فرع "اللسانيات الحاسوبية" Computational Linguistics الذي يعد علما بينيّا يجمع بين اللسانيات والحاسوب والتطبيق الفعلي.

وقد تطورت هذه اللسانيات الحاسوبية وصولا إلى مرحلة "الذكاء الاصطناعي" (AI)، وما تعتمده من عمليات (NLP) البرمجة اللغوية العصبية Neuro-Linguistic Programming، المختصة بجعل الأجهزة الحاسوبية تفهم اللغة البشرية وتعالجها؛ لإنتاج البيانات الجديدة غير المعتمدة على الإنسان في أية مرحلة، ومثاله الأبسط تطبيقات سيري Siri وأليكسا Alexa (المدمجة في هواتفنا المحمولة).



كل ذلك أحدث تحولات جذرية في التعامل مع اللغات، وهو ما تترتب عليه بالضرورة كل أزمات الهُوية، ذلك أن اللغة هنا بوصفها إحدى صيغ الإنتاج والتداول المعرفي، فإن توقفها عن الإنتاج سيفتح الباب واسعا لدخول النتاجات المعرفية للغات الأخرى، وبالصيغ الأكثر اختراقا لخصوصيات الإنسان الآن والمتمثلة في التطبيقات الحاسوبية المصاحبة له في كل تفاصيل حياته.

وثانـي الملفـات الداعمـة للهويـة العربيـة التـي تحتـاج إلـى إعـادة ترتيـب مكانتهـا فـي أولوياتنـا، هـي نظـم التعليـم، ليـس فقـط فيمـا يتعلـق بجـودة التعليـم، وهـو أمـر تـزداد أهميتـه فـي كل بلداننـا العربيـة، وإنمـا فيمـا يختـص بالبرامـج التعليميـة البينيـة أيضـا التـي يمكـن عبرهـا حـلّ كثيـر مـن مشـكلات وقضايـا مجتمعاتنـا العربيـة، وأحـد أهـم الأمثلـة التـي يمكـن الإشـارة إليهـا هنـا، مـا يتعلـق بمـا فعلتـه السـيولة فينـا، وهـو مـا نبهـت إلـى خطورتـه كثيـر مـن الدراسـات العالميـة، وهـو المسـارات التـي يسـلكها العالـم فـي ظـل سـعيه الدائـم وراء التحديـث والتطويـر بـلا وجهـة محـددة وواضحـة يتجـه إليهـا، والواقـع أن هـذه الرغبـة فـي التغييـر الدائـم هـي المتسـبب الأول فـي الهشاشـة التـي تعانيهـا كثيـر مـن الهويـات فـي العالـم الآن، وهـو الأمـر الـذي تـزداد فداحتـه فـي هويتنـا العربيـة، ويتطلـب معالجتـه عبـر برامـج تعليميـة غيـر تقليديـة، سـواءٌ أكان ذلـك فـي المنهـج الرسـمي، أم فـي المنهـج المـوازي/ الخفـي Hidden Curriculum.



وثالـث هـذه الملفـات التـي تقتضـي عنايـة سـريعة فـي واقعنـا العربـي للمحافظـة علـى الهُويـة، هـو إعـادة صياغـة الوعـي بشـأن الهُويـة نفسـها، والنظـر إليهـا ليـس بوصفهـا أُنموذجـا لاسـتعادة التـراث أو اسـتعادة الماضـي الغابـر، وإنمـا هنـاك مـا يسـمّى الهُويـة الحديثـة، وهـي المعتمـدة فـي الأسـاس علـى حـلّ معادلـة التراثـي والمعاصـر، وهـو مـا سـيتطلب جهـودا واعيـة ومنظمـة ومحتكمـة إلـى النظريـات العلميـة، مثـل تلـك التـي فعلتهـا اليابـان والصيـن واليونـان وبعـض بلـدان أوروبـا، فكـل هـذه البلـدان اسـتطاعت إعـادة صياغـة تراثهـا للبحـث عمـا يصلـح منـه للراهـن والمسـتقبل، ثـم عملـت علـى إنتاجـه بمـا يتناسـب وآليـات المعرفـة وطبيعتهـا فـي زماننـا [1].



ولعل تلك الإشـارات السـريعة والمقتضبـة، تؤكـد علـى أن الهُويـة ومعالجـة قضاياهـا، تعـد مـن الأولويـات التـي تضمـن بقـاء واسـتمرار ثقافتنـا ومجتمعاتنـا العربيـة، ذلـك أن العصـر الـذي نعيشـه، هـو عصـر مجتمـع المعرفـة باقتـدار، وهـذا المجتمـع لـم يعـد يحتكـم إلـى الآليـات والضوابـط والمعاييـر التـي كان يحتكـم إليهـا العالـم فـي السـنوات السـابقة، بـل أوجـد جديـدا فـي كل ذلـك، وهـو مـا يتحتـم علينـا درسـه وإدراكـه والوعـي بـه الآن.

---

١ - للمزيـد بشـأن آليـات ذلـك، يمكـن العـودة إلـى كتابنـا: صناعـة المعرفـة فـي عصـر مجتمـع المعرفـة، سـما للنشـر والتوزيـع، القاهـرة، ٢٠٢٤.